جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

المرحلة الاولى

اسم المادة : تاريخ اوربا في العصور الوسطى

المحاضرة الاولى

نظريات وآراء حول سقوط الامبراطورية الرومانية

اسم التدريسي

م.م. عبـيـــر عـــدي علي

١٤٤٧ ٢٠٢٦م

اختلف المؤرخون في تفسير أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب، ويرتبط ذلك بطبيعة الخلفية الفكرية لهؤلاء المؤرخين. وقد حاول كل منهم ان يفسر سقوط الإمبراطورية تفسيراً معيناً متجاوزاً العوامل والأسباب الأخرى. ويمكن تلخيص أهم النظريات حول سقوط الإمبراطورية الرومانية بما يأتي :

١- التفسير الديني :

ينقسم التفسير الديني الى قسمين، التفسير الوثني والتفسير المسيحي، فقد عزى المؤرخون الوثنيون سقوط الإمبراطورية الرومانية الى ابتعاد الرومان عن عبادة الآلهة الوثنية وفي مقدمة هؤلاء المؤرخ زوزيميوس، الذي عزى سقوط الإمبراطورية الرومانية الى عزوف الرومان عن عبادة الإلهة الوثنية والى انتشار الديانة المسيحية، فادى ذلك الى غضب الالهة الرومانية.

اما المؤرخ الوثني الأخر فهو إميانوس، الذي عزى ضعف الإمبراطورية الى فقدان الوازع الخلقي وعدم الشعور بالمسؤولية. لم يقتنع المؤرخون المسيحيون بهذا التفسير وحاولوا تفنيده، وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين القديس أوغسطين Saint Augustine (٣٥٤-٤٣٠م) وقد حاول اوغسطين ان يدافع عن وجهة النظر المسيحية، ويتضح ذلك في كتابيه **مدينة الله** (The City of God) و**الاعترافات** (The Confessions).

يرى أوغسطين ان هناك صراعا بين مدينتين على الأرض: الأولى هي مدينة الله التي تمثل الخير والثانية هي مدينة الشر التي تمثل الشيطان. والحياة هي عبارة عن صراع بين مدينة الخير ومدينة الشر، وان سقوط الإمبراطورية الرومانية جاء بسبب انحياز الرومان الى الآلهة الوثنية وابتعادهم عن الديانة المسيحية الجديدة .

٢- التفسير الاقتصادي :

يرى أنصار هذا التفسير ان سقوط الإمبراطورية الرومانية جاء لأسباب اقتصادية أثرت على وضع الإمبراطورية مما أدى الى سقوطها في النهاية واهم هذه الاسباب الاقتصادية هي:

١- قلة سقوط المطر أدى الى تحويل المزارع الى مراعي و ضعف الإنتاج وهيجان القبائل الرومانية ، وقد سجلت المرحلة التاريخية الممتدة بين (٢٠٠ الى ٤٠٠م) نقصاً متزايداً في هطول الإمطار أدى الى الجفاف والمجاعات والى تحركات البرابرة وطغيانهم على الإمبراطورية في الغرب.

٢- كما ان قلة الأيدي العاملة بسبب انتشار الملاريا أدى الى قلة عدد الفلاحين، الامر الذي ادى الى عدم قدرة الإمبراطورية على التوازن الاقتصادي ثم أدى الى انهيار الحياة الاقتصادية.

٣- فضلاً عن ذلك كان النزاع بين الطبقة الارستقراطية والفلاحين أدى الى تعميق مشاكل الإمبراطورية، وكان الجيش يقف الى جانب الفلاحين وحدثت معارك طاحنة أدت الى إضعاف الإمبراطورية.

٣- النظرية العرقية:

تؤكد هذه النظرية ان العناصر غير الرومانية هي التي قضت على الإمبراطورية، وهذا النقص في العنصر الروماني أدى الى تسلط العناصر غير الرومانية على الحكم. ويؤيد المؤرخ الانكليزي **ارنولد توينبي**، هذا الرأي مشيراً الى فشل الإمبراطورية في تمدين الفلاحين والقبائل الجرمانية مما أدى الى ضياع المثل الارستقراطية وسيادة العقلية المعتمدة على الدين والمناهضة للمثل الارستقراطية، وبذلك يؤكد توينبي ان الرومان فشلوا في كسب القبائل الجرمانية وجعلها متشربة بالقيم الرومانية وتمدينها مما أدى الى سيادة المفاهيم البربرية.

٤- النظرية الحياتية (البايولوجية) :

تؤكد هذه النظرية على تشبيه الدولة **بالكائن الحي** والذي يمر بثلاث مراحل : مرحلة الطفولة والشباب والكهولة ثم الوفاة ، وان الإمبراطورية الرومانية كانت تمر بمرحلة الكهولة مما أدى الى سقوطها على أيدي العناصر الجرمانية التي كانت تمر بمرحلة الشباب. ووفقا لذلك، يؤكد هذا التفسير على العامل البايولوجي لسقوط الإمبراطورية الرومانية.

٥- العوامل الإدارية :

هناك من المؤرخين من أكد على ان الإمبراطورية الرومانية سقطت بسبب الإصلاحات الإدارية التي قام بها الإمبراطور **دقلديانوس** (٢٨٤-٣٠٥)، اذ أدت هذه الإصلاحات الى ضعف الإمبراطورية الرومانية، أما أهم الإصلاحات الإدارية التي قام بها دقلديانوس فهي :-

أولاً: قسم البلاد الى أربعة أقاليم.

(١) إقليم بلاد الغال .

(٢) إقليم ايطاليا .

(٣) إقليم اليريا .

(٤) إقليم الشرق ويشتمل على الجهات الشرقية من البلقان وآسيا الصغرى ومصر.

ثانياً: جعل الإمبراطورية تحت أدارة إمبراطورين

(١) الإمبراطور الذي يدير الجهات الشرقية ومركزه في نيقوميديا

(٢) جعل على القسم الغربي إمبراطورا يشرف على الأقسام الغربية ومقره في ايطاليا، أما العاصمة فكانت متنقلة بين المدن الايطالية مثل روما وميلان.

وجعل أيضا قيصرين في القسم الشرقي وقيصرين في القسم الغربي.

ثالثاً: قسم الأقاليم الى وحدات اصغر.

رابعاً: فصل بين الجهازين العسكري والمدني في المعاملات الإدارية.

خامساً: جعل المهن وراثية.

سادسا:إصلاحاته الاقتصادية: والتي حاول من خلالها إنعاش الوضع الاقتصادي بسكه لعملات جديدة قلل فيها نسبة الذهب والفضة ، أسهمت في تأخير سقوط الإمبراطورية ردحا من الزمن، الا أنها زادت في الوقت ذاته، من تفاقم المشكلة الاقتصادية مما أدى الى فقدان العملة سمعتها .

سابعا: اصلاحاته في الجيش ، اذ انه حاول ان يحل مشكلة النقص الحاصل في الجنود، فسمح للعناصر غير الرومانية بالانخراط في الجيش مما أدى الى القضاء على القيم الأرستقراطية التي كان الجيش ينشد أليها.

٦- نظرية اداورد گيبون Edward Gibbon :

وهو من مؤرخي القرن الثامن عشر أي عصر التنوير او الاستنارة وسمي ايضاً عصر العقل وهو عصر فولتير وجان جاك روسو وميرابو وغيرهم من المفكرين. لخص ادوارد گيبون آرائه بما يأتي : ان سقوط الإمبراطورية الرومانية يرتبط بعاملين :-

١- **انتشار الديانة المسيحية .**

٢- **تدفق القبائل الجرمانية.**

ففي ما يخص العامل الأول، يشير گيبون بأن المسيحية قبل الاعتراف بها في عهد قسطنطين الكبير (٣٠٦ – ٣٣٧) كانت عبارة عن معول هدم لكيان الإمبراطورية، لمخالفة قيمها وتعاليمها للقيم الرومانية السائدة، من خلال ماياتي:

١- من الناحية السياسية عدت المسيحية مفككة لرابطة الولاء للإمبراطور، لعدم اعتقادها بقدسية الإمبراطور الوثنية.

٢- من الناحية العسكرية لم تكن تؤمن في بدايتها بالعنف، فهي ضد الحروب وضد العسكرية.

٣- اما مواقفها من القضايا الاقتصادية فكانت سلبية لأنها لا تؤمن بالأرباح المادية وكانت تدعو الى الكفاف، كما هو شعارها الرئيس ، وكانت هذه النظرة محبطة للقيم الاقتصادية السائدة في المجتمع الروماني المعتمد على العبودية.

٤- كما انها ضد الامتيازات الطبقية فدعت الى المساواة الى جانب ذلك، فان الصراع المذهبي بين الطوائف المسيحية كان من أسباب ضعف الإمبراطورية بقسميها الشرقي والغربي.

وفيما يخص النقطة الثانية ، يرى هذا المؤرخ ان **الجرمان** قد أسهموا في بربرة المجتمع الروماني وبالتالي أضعاف القيم السائدة مما أدى الى إرباك الحياة الاقتصادية.

الا ان المدرسة التاريخية الألمانية ردت على طروحات گيبون **اذ دافعت عن المسيحية** لان للكنيسة رسالة إنسانية ، وعملت على ترويض القبائل الجرمانية

الغازية وحفظت التراث الروماني وأدت دوراً تثقيفياً طيلة العصور الوسطى **أما عن الجرمان** فقد دافعت المدرسة التاريخية الألمانية عنهم على اعتبار ان هذه القبائل لم تحاول اقتحام الإمبراطورية بالقوة دائماً وإنما كان توغلها سلمياً أحيانا للعيش والاحتماء فأنخرط الجرمان في الجيش وعملوا كفلاحين وكانت القبائل الجرمانية عنصر قوة في المجتمع الروماني بعد ان أصابه التدهور والانحلال الخلقي وكان الجرمان أرقى خلقاً من الرومان .

٧ – نظرية هنري بيرين .

يرى المؤرخ البلجيكي هنري بيرين ان وصول العرب المسلمين الى منطقة البحر المتوسط واندفاعهم نحو الشمال الإفريقي في سنة (٦٣٤م) وفتحهم الأندلس عام (٧١١م) قد أدى الى تحويل منطقة البحر المتوسط الى **بحيرة إسلامية** ، بعد أن كانت حتى أواخر القرن الثامن الميلادي **بحيرة رومانية.** وقد عبر عن نظريته في كتابه **(محمد وشارلمان)** Mohamed and Charlemagne. وهكذا فأن القبائل الجرمانية لم تؤد الى سقوط الإمبراطورية الرومانية بل ان وصول العرب المسلمين الى اسبانيا وانتشارهم في السواحل الشرقية للبحر المتوسط هو الذي قضى على الثقافة والحضارة الرومانية في المنطقة .

ولم يكن مستغرباً ان يرى بعض المؤرخين في عهد شارلمان وتتويجه في سنة ٨٠٠م البداية الحقيقية للعصر الوسيط. وذلك لعدة اسباب مختصرة اهمها:

١- فقد شهد عهده، اكتمال التحول من العصر القديم الى الوسيط ، وقد اتضح ذلك بسلسلة من التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والفكرية التي شهدها العصر الوسيط . وطبقاً الى بيرين ، فان عهد شارلمان حقق تحولاً سياسياً واقتصادياً جذريا ميزه عن العهد الميروفنجي .

٢- فاذا كان الميروفنجيون قد استمروا في مؤسساتهم وتنظيماتهم معتمدين على النظام الروماني المرتبط بمنطقة البحر المتوسط ، فان الكارولنجيين ، وابتداءاً من عهد شارلمان، انعطفوا نحو بحر الشمال، واقاموا سلسلة من المؤسسات الجديدة التي اصبحت ذات اهمية كبيرة في

حضارة العصر الوسيط . وقد كان لانتشار الاسلام في الشمال الافريقي واسبانيا ، وتحول البحر المتوسط الى بحيرة اسلامية ، اثر كبير في هذا التحول الاقتصادي والسياسي في عالم العصر الوسيط.

٣- وكانت نتيجة هذا التوسع الانفصال النهائي بين الشرق والغرب، ونهاية وحدة البحر المتوسط . فأصبحت افريقيا واسبانيا ، اللتان كانتا سابقا جزءاً من الغرب ، تدوران في فلك بغداد . واصبح البحر المتوسط بحيرة إسلامية .

٤- ولأول مرة ، انتقل محور الحياة في اوروبا الى الشمال، وكان من نتيجة ذلك انتهاء الدولة الميروفنجية ، التي كانت متوسطية في توجهاتها ، وولادة سلالة جديدة هي الكارولنجية، التي اصبح مركزها في شمال المانيا .

٥- كما ان البابوية تحالفت مع هذه السلالة الجديدة ، وافصلت علاقتها بالإمبراطور البيزنطي، الذي ارهقه الصراع مع المسلمين ، ولم يستطع الاستمرار بحماية البابوية من أعدائها .

٨- **انحلال مؤسسة العبودية:** فيرى البعض ان سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب جاء بسبب انحلال مؤسسة العبودية التي كانت المعين الذي لا ينضب لتجهيز المجتمع الروماني بالقوى العاملة التي أسهمت في ديمومة الإمبراطورية ، الا ان انهيار هذه المؤسسة أدى الى ضعف الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتمد الى حد كبير على العبيد.